القسم الثانى
الحياة المعاشية والاقتصادية في الوقت الحاضر

أرض الإسلام " عالم المسلمين " أرض مأهولة بالسكان منذ فجر التاريخ ـ فهي مهد الحضارات ومهبط الأنبياء ، وأرض الرسل والأنبياء . عاش عليها الناس أحقاباً طويلة ، واندثرت أمم وخلفتها أمم أخرى ، والكل عاشوا وتغذوا وعملوا في هذه الأرض ، فتحولت التربة إلى فقر وقلة بالعطاء ، وجفت بعض الأنهار وانتشرت الصحارى في أكثر بقاع عالم المسلمين ، وتبلغ الصحارى بل وتزيد عن نصف مساحة هذا العالم . وكانت هذه الأرض مصدر الخير والبركة والزرع والضرع والجنات والأنعام ، بلاد العرب والهند والصين وبلاد فارس وبلاد الترك وإفريقيا ، والذي يقرأ في أدب الأقدمين يقف على مثل هذه المعاني وأكثر منها ، فجميع المفردات المعروفة في أرض الغابات والسهول والمراعي والمزارع معروفة في لغة العرب ، وجميع مسميات الأنهار والجداول والسلسبيل ، والماء الزلال والينابيع ، والجنات ، وكذلك أنواع البهائم والحيوانات والدواب والطيور والأشجار كلها معروفة في لغة العرب ، ولغة سكان هذه المناطق .

و لم تذهب تلك المعاني وحتى الآن من أذهان الناس الذين حرموا منها ؛ فوعدهم الله تعالى جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله وكتبه وملائكته ، في أي معتقد كانوا ـ والأوضح من كل هذا ما ورد في القرآن الكريم ، والحديث الشريف بوعد الآخرة . واليوم جدبت الأرض وتصحرت ، وقل عطاؤها ، وقل إنتاجها مع تحول العالم إلى الصناعات والخدمات ، فأعطى الله تعالى المسلمين روح العصر الحديث والحضارة الحديثة وكل ما يرتبط بها من مقومات حباها الله تعالى المسلمين وهي البترول ، وإن لم يحرمها الآخرين من خلقه لكنه استأثر بها أرض المسلمين بالإنتاج والاحتياط وغير ذلك من مشتقات طبيعية أو مصنعة ، فكان مردودها أكبر بكثير مما عند الآخرين من خيرات . عوض الله تعالى فقر أرضهم واستغلالها المتواصل منذ آلاف السنين بثروات أكثر مردوداً ، وأثمن قيمة ، وأبعد قوةً .

لقد تحكم عالم الأقوياء بحبة القمح ـ على الرغم من توفر إمكانات إنتاجها عندنا وبشكل واسع . و لم نتحكم نحن بروح حضارة البترول ؛ بل إن واقع المسلمين المتخلف حولهم إلى حراس أمناء على هذه النعمة العظيمة ، تسلب منهم بالمجان ، وتعود إليهم بأعلى الأثمان ، وأصبحوا أسرى استهلاكها وهي تجري تحت أقدامهم . كما أن الله عز وجل قد عوض المسلمين الكثير من المواد

الأولية في الشجر والحجر وفي التراب وفي الطين ، وفي الماء وفي الصحراء . المهم أن المسلمين جميعاً غير قادرين حتى الآن على استغلال خيراتهم أو المحافظة عليها . أو استخراجها بالشكل الذي يكفل لهم العيش الكريم ، فقد استذلوا لرغيف الخبز ، والدرهم ، وكسوة البدن (على اختلاف مسمياتها وأشكالها) .

- يصنف العالم اليوم بالدول الغنية ، والدول الفقيرة ، والدول الأكثر فقراً :

الدول الغنية :

هي التي ملكت صمام الصناعة في العالم ، ولا تزيد بحال من الأحوال عن ثمانية ، ولو أنه يلحق بها أحياناً دولاً من الفقراء مثل روسيا ؛ وعرفت هذه الدول بالدول الصناعية أيضاً . على رأسها "الولايات المتحدة " سيدة العالم الآن ؛ أو ما يعرف بحكم القطب الواحد ، فهي موجودة في كل صغيرة وكبيرة في العالم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، وتأثيراتها الأخرى أقل حظاً من الثلاث الأول ، الاجتماعية والأخلاقية والثقافية ، وفي العلم مثلها مثل بقية الدول الصناعية ، حيث العلم الآن في هذه الدول لخدمة الصناعة ، وربما تنافسها بعض الدول حتى في المجال التقني المتطور مثل علوم الكمبيوتر فالهند شقت طريقها بشكل كبير لتدخل في عالم المتقدمين في هذا المضمار ، أما عن العلاقات الاجتماعية أو " البنية الاجتماعية " في الولايات المتحدة فهي الأكثر انحرافاً من بقية دول العالم المتقدم ؛ على الرغم من وجود القوانين الاجتماعية المتطورة التي ليست في دول العالم الأول " أوروبا خاصة " كذلك الحياة الأخلاقية إذ فقدت هي والحياة الاجتماعية تأثيرها على المجتمع الأمريكي للأسباب التالية :

١- الحرية المطلقة التي منحت للفرد : والكثيرون بل أكثر المجتمع الأمريكي لم يحسن استعمالها أحياناً ؛ مما انعكس ذلك على انحطاط القيم الاجتماعية والأخلاقية مع وجود ضوابط قانونية متشددة في الولايات المتحدة التي تحاول أن تحافظ على المستوى الأدنى في هذين الاتجاهين .

٢- منابت الشعوب الأمريكية : سكان الولايات المتحدة خليط من مختلف شعوب العالم ، حملوا عاداتهم وتقاليدهم ، البعض حاول أن يطبع الآخرين بها وأكثرهم انكفئوا على أنفسهم ، وحافظوا على هذه العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية عموماً ، ولكن التأثير كان له دور كبير في هذا المضمار .

٣- ضعف قوة الردع والترهيب : فالسجون مريحة ، وكثيرون يرغبون باستمرار الحياة فيها فيقومون على ارتكاب ما يقربهم منها من جرائم ومخالفات .

٥- اتساع أراضي الولايات المتحدة ، وسهولة الانتقال من مكان إلى آخر : وتعتبر البيئة وبشكل كبير ذات تأثير فعال - فليس للأمريكي ارتباط فطري أو ارتباط عاطفي مع بقعة معينة لها أو بها ؛ أو اكتسب منها المواطن بعض العادات والقيم ليحافظ عليها .

٦- انقطاع الصلة بين مختلف عناصر المجتمع الأمريكي حتى من أصحاب الاتجاه الواحد : ومن الأمثلة انقطاع التعاون والتنسيق بين المسلمين أنفسهم المنحدرين من بعض مناطق في العالم الإسلامي ، أو أنهم تربوا هناك ، ومع عدم وجود أية موانع بين المسلمين للتواصل والتلاحم والتقارب ، فالجميع رباهم الإسلام وأحسن تربيتهم ولنا عودة للحديث عن هذا في بحوثنا الأخرى بعون الله وتوفيقه .

وتأتي أوروبا - أو أكثر دول أوروبا - في تعداد هذه المجموعة ولو أن بعضاً من دول أوروبا الغربية أقل من مجاوريها ؛ ولكن أوروبا عموماً تدخل في هذا المضمار ، ففي الوقت الذي لا تستطيع دولة " كسويسرا " مثلاً أن تجاري الدول الصناعية الكبرى ؛ لكنها في الواقع قادرة على احتكار صناعات دقيقة وتقليدها كالساعات مثلاً _ رغم المنافسة الشديدة من الدول الأخرى .

والمكان الثالث الذي تمكن أن يجاري أوروبا وأمريكا هو دول جنوب شرق آسيا وخصوصاً اليابان التي تمكنت رغم تدميرها بالحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ من النهوض السريع لتدخل عالم الصراع مع الدول الصناعية والفنية جداً ، وما تزال المنافس القوي جداً في هذا المضمار .

هذه الدول احتكرت الصناعة في العالم _ مع أنها تركت للدول الفقيرة هامشاً واسعاً في مجال التنافس الصناعي ، لكنها _ عدا ألمانيا واليابان وإيطاليا _ تقفزان للقمة في صناعة أسلحة الدمار الشامل التقليدية ونافسها في مجال التدمير الشامل أي الذرة والهيدروجين كل من الهند وباكستان وإسرائيل .

الدول الفقيرة أو الدول المتوسطة الحال :

هي كل دول أوربا الغربية والشرقية عدا التي قفزت لتكون في مصاف الدول الغنية ، وأمثلتها إسبانيا والبرتغال والنمسا وهولندا وبلجيكا والدول الاسكندنافية وغيرها ؛ فهي دول تعتمد كثيراً على الذات وفي الشرق يلحق بها دول الخليج العربي (بسبب الثروة النفطية) ودول أخرى مثل برونای وكوريا وماليزيا وتايوان وغيرها من الدول ، ويستثنى دول الخليج العربي حيث تعتمد على الثروة النفطية ولا تعتمد إطلاقاً على الذات فهي دول تستورد الماء والهواء والتراب وهي التي خلقها الله تعالى مشاعاً بين الناس ولكن هذه الدول تستوردها .

الدول الأشد فقراً:

وهي بقية دول العالم وتتفاوت بين الفقر وسوء التدبير أما الفقر فهو كثرة السكان مثل الهند والصين وبنغلادش وإندونيسيا ونيجيريا وتركيا وباكستان وبقية الدول وتشمل جميع الدول الإسلامية وغيرها فتتميز بسوء التدبير،وتشمل العالم العربي كله، والدول الإسلامية ؛ خاصة الدول التي خرجت من مظلة الاتحاد السوفيتي في آسيا وأوربا الشرقية إلخ ما هنالك ... العالم الإسلامي برمته في الترتيب الثالث سواء أكان من حيث عدد السكان أم وهو الأكثر سوء التدبير .

اقتصاد العالم الإسلامي قائم على ركيزتين سيىء استخدامهما وهما :

الأولى الزراعة : وأكثر من ثلاثة أرباع المسلمين يعيشون على الزراعة ، والزراعة البدائية التي توارثوها من الأجيال الغابرة ، ولا يعدم أن يكون هناك بعض التحديث في هذا المجال ، إلاّ أن الغالب هو الخط القديم . ومع أن أطول أنهار العالم تخترق العالم الإسلامي فإن الاستفادة من هذه الأنهار قليل،وقد تستفيد منه حكومات إسلامية لتحرم حكومات وشعوب أخرى ـ ومثالها النيل ، والفرات ، ودجلة ، والسنغال ، والنيجر ، وسيحون ، وجيحون ، وأنهار البنجاب ، والسند ـ وتقوم عليها كلها مشكلات بين المسلمين عامة . وتوفر سقوط الأمطار في كثير من أراضي المسلمين ؛ ألاّ إن الصحراء والجفاف السمة الغالبة على هذه الأرض ، وعلى أحوال وأطوار الزراعة لدى المسلمين ، والمردود والإنتاج الزراعي عموماً أقل بكثير من مناطق أخرى في العالم ، استخدمت أساليب حديثة في الإنتاج الزراعي ، كما أن نسبة كبيرة من النساء والأطفال يعملون في هذا المضمار ؛ عدا كبار السن يعملون فيه كذلك . أرض المسلمين الجيدة غير مستغلة استغلالاً كاملاً ، ونسبة استغلال الأرض الجيدة لا يتجاوز ثلثها ـ مع انحصار كبير في الأراضي المستعملة وتزاحم غير طبيعي . والإنتاج الزراعي متنوع نتيجة امتداد أراضي المسلمين ـ أو حيث يعيش المسلمون في دول غير إسلامية من المناطق الاستوائية ـ ١٢ جنوب خط الاستواء في جزر القمر ، إلى ٥٤ خط عرض شمال خط الاستواء في حدود ألبانيا الشمالية هذا الموقع المتميز يجعل تنوعاً في اختلاف المناخات وبالتالي اختلاف وتنوع الإنتاج الزراعي من جهة أخرى . فإن تأخر مكننة الزراعة يستدعي عمل كثير من الأيدي العاملة في مجال الزراعة ومن مختلف الأعمار كما تمت الإشارة إليه .

يلحق بالزراعة تربية الماشية ، ومازال عدد كبير جداً من سكان العالم الإسلامي ، ومن المسلمين عامة يعملون في تربية الماشية والأبقار ، وخاصة الجمال والإبل التي ارتبطت بالعرب أولاً وبالمسلمين ثانياً ، ولكن لم تتحول بعد هذه التربية إلى التحديث نظراً لفقدان المراعي الخصبة في

الأرض الإسلامية . وهذا يجعل الماشية ضعيفة ولا تعطي المردود المطلوب منها من اللحم أو الحليب أو حتى الصـــوف ، وعلى العموم فإن المرتبط بالأرض من الحيوانات ليس بالقدر المطلوب مـــن العطاء ، بعد تطوير وسائل تربية الحيوانات الأليفة النافعة في العالم المعاصر . والمســـلمون عامـــة مستوردون ــ على شرائح كثـــيرة منهم ــ للإنتاج الزراعي والحيواني ، وخاصة مـــادتي القمـــح ولحوم الأغنام .

الركيزة الثانية: هي البترول والمواد الأولية الصناعية : أمَّا البترول فقد انحصر بدول قليلـــة السكان قليلة الموارد،فأصبح اعتمادها الرئيسي،مما قفز بها إلى الغنى الفاحش ،وحرمت منـــه دول كثيرة السكان قليلة الموارد أيضاً،والتجزئة كانت العامل المساعد الأول لهذا البعد الشاسع في الموارد بين الدول الإسلامية،فعندما نرى أن دخل الفرد في الكويت يقفز إلى ١٢٠٠٠ دولار في العام لا يصل في الصومال أو بنغلادش إلى ١٥ دولار في العام،وإذا قارنا فإن نفقة الكلب الأليف في أوروبا تعادل نفقة ٥ أشخاص في الدول الإسلامية الأكثر فقراً علماً أن ٥٠ مليون كلب في ألمانيا ينفقون ما ينفقه سكان بنغلادش وباكستان من المسلمين ، وهناك أمثلة نربأ بأنفسنا أن نوردها في هـــذا المجال ؛ لكثرة التبذير في عالم الغرب والجوع والديون والفقر في عالم المسلمين . إن البترول الذي كان خلال القرن العشرين ولا ندري إن كان القرن الواحد والعشرون سيتمكن من الاستغناء عن مادة البترول ليتحرك بها في مضمار التطور المخيف في مجال التكنولوجيا والتقنيات ، رتبت أوضاع البترول في العالم الإسلامي (وهو أكبر منتج ومصدر بالعالم بلا منازع) رتبت بشكل يكفل معه أن يكون نعمة لأعداء الإسلام ونقمة على شعوب المسلمين في مختلف أصقاعهم .

١- وضعت أسعار للبترول أرخص قليلاً من أية مادة سائلة في العالم بما فيها الماء المعبأ مـــن الينابيع وسواء أكان منقـــولاً أم مستهلكاً فإن البترول أرخص من أية مادة سائلة في العالم .

٢- المسلمون - الحكام - هيئوا ليكونوا حراسا أمناء عليه ، أُشبعوا بكل الشهوات ووضعوا أمام جميع التحديات ، فوقعوا تحت وصاية الأقوياء ، يضخون لهم النفط بكل أمانة واستمرارية . وسواء فكر أحدهم بشيء من الاستقلال ، أو صم أذنيه المغطاتين بفلاتره : سداداته ، فهو عبارة عن حارس أمين يحمي أكثر بكثير مما يأكل ، ويعتقد أن البترول للبيع فقط ، ولم يفكر واحد منهم أن هذا سلاح أرسله الله تعالى للمسلمين ليكون لهم عوناً ونصراً على أعدائهم ، فقدموا سلاحهم بكل بساطة لعـــدوهم ، بدراهم معدودات وكانوا فيه من الزاهدين ، فاستغله عدوهم لتدميرهم ولإفقارهم ولاستمرار إذلالهم وتجزئتهم؛ بعد أن سيطر وعرف سر هذا السلاح الذي أرســـله الله

تعالى للمسلمين ليكون نعمة عليهم فكان عليهم نقمة ، إذ أنهم استمروا واستمرءوا العداوة فيما بينهم .. حتى يجعل الله تعالى لهم مخرجاً .

يدرك – كل ذي عين يرى بها – أن البترول أخطر ما في الوجود الآن على الأقل ، وهو والكهرباء من أخطر ما تمكن الإنسان تسخيره في هذا العصر ، والبترول عصب الكهرباء والكهرباء شريان يمتد إلى كل واحدٍ في الدنيا الآن . المسلمون وقفوا على الزراعة لتأمين العيش ، والحد الأدنى ، واستفادوا من البترول كذلك من حدوده الدنيا – سواء في صناعاتهم أو في الاستخدامات اليومية للمواصلات والتدفئة والوقود ـ وبنى الآخرون حضاراتهم على هذا النعيم الذي استفادوا منه إلى أبعد الحدود ، ورتبوا إمداداته إليهم بشكل يكفل استمراره بالتدفق الدائم ، وأقاموا حروباً إقليمية خطيرة بين المسلمين أنفسهم وبينهم ؛ وبين المسلمين ليضمنوا بذلك نفعهم وضرر المسلمين مالكي هذه المادة التي وهبهم الله تعالى إياها .

في جانب آخر من المعاش ؛ فإن التجزئة قد حالت دون فتح أبواب **التجارة بين المسلمين** ، وكذلك القوانين الجمركية القاسية التي يسقط الناس قتلى من أجلها على الحدود المرسومة لدول العالم الإسلامي ، وكذلك التنسيق أو التشاور في الإنتاج أو النوعية أو الجودة . وإذا استثنينا النفط فإن العالم يعطينا كل شيء ،ولا يأخذ منا شيئا إطلاقاً ، صناعة متخلفة حتى للمواد الاستهلاكية ، وحرمان الصناعات الثقيلة مهما كانت ، وحُجِرَ على العقول المتحة والمبدعة والغالب سرقتها لتخدم ذلك المجتمع الذي ضل وأضل ، والذي تحكم بالقوة المادية في رقاب الناس ؛ وأصبح البعبع الخفي الذي يخيف كل الذين يفكرون غير ذلك ، قبل أن ينتقل بهم الأمر إلى تدبير أمر يجعلهم يخرجون من تحت هذا الظل القاتم المخيف ـ المسلمون يستهلكون التكنولوجيا ولأبعد حدودها ومردودها عليهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، دون ضابط أو هدف قريب أو بعيد يرغبون بتحقيقه من وراء هذا الاستهلاك ، وإن قلدوا ففي الحدود الدنيا ، بل قل بأدنى الحدود وإذا تقدمت صناعات قطفت على عالم الغرب فهم من حيث التبعية والتقليد أخطر ما في دروب حياتهم، العلامات التجارية العالمية في مطعمهم وملبسهم ومسكنهم وتنقلاتهم ، ومنامهم ويقظتهم، وليس لهم على أية حال أية علامة تجارية لأنهم لا يملكون من حيث المبدأ أصولها ولا إنتاجها . وتبقى قضية النقد العامل الأخطر في تهديم اقتصاد عالم المسلمين الذي يترل – عدا دول البترول – التي ارتفعت فوق الأرض ويهبط مال الآخرين إلى أسفل سافلين . في يوم من الأيام كان الدينار الكويتي يعادل الدينار العراقي واليوم الدينار الكويتي يعادل ثمانية آلاف دينار عراقي ، وكان هذا الدينار (الكويتي) يعادل ١٠ ليرة لبنانية واليوم يعادل وبلا مبالغة حوالي سنة آلاف ليرة لبنانية .

وكل من أرادوا به شراً حاصروه فأماتوا أطفاله،وعطلوا حياته مباشرة ، والآخرون يقتلونهم ببطء ، والجميع – أي المسلمون الآن – مطلوب قتلهم ، وهذا ما نطق به القرن العشرون السيئ الحظ على المسلمين عامة ، فقد جعلهم في مؤخرة أمم الأرض من هذا الاتجاه على الأقل .

لا يعدم وجود الكثير من الموارد الاقتصادية الأخرى ، بعض الصناعات التحويلية لبعض الصناعات الغذائية ، بعض الصناعات التراثية ، مواد أولية غير البترول تصدر أو فلذات خام أو في بدايات التحويل ، مواقع تجارية هامة جداً لوقوع العالم الإسلامي في عقد التجارة العالمية ، وكذلك السيطرة على الطرق التجارية القديمة مثل طريقي الحرير والتوابل ، وكذلك الطرق الهامة في آسيا وأفريقيا ، والتي بدأت تفقد شيئاً كثيراً من أهميتها ؛ باستحداث طرق أحدث : بحرية أو حيوية أو آلية ، قطارات ، شاحنات ، والسياحة إلى عالم المسلمين وكذلك الهجرة إليه رغم أنها أقل من الهجرة منه ، ثم التبادل السلعي ، وتبادل المصالح ، ويعتبر العالم الإسلامي من أكثر الدول والمناطق والوحدات في العالم استهلاكاً للسلاح – وخاصة السلاح القديم والمستهلك ـ وكذلك تجارة المنتجات الحديثة المصنعة في جنوب شرق آسيا (البوذية ، والبرهمية) أو بعض الدول الإسلامية التي أرادت أن تلحق العالم في تلك المنطقة رغم كل العقبات والمثبطات والمنافسات التي يتعرض لها هذا التوجه في عالم المسلمين .

العالم الإسلامي سوق استهلاكي كبير يستورد الغذاء والدواء والتراب والهواء والآلات والتكنولوجيا والسلاح والصناعات الميكانيكية والطائرات ، ويقايض بشيء بسيط مما عنده ولكن دخول العالم الإسلامي خانة الديون ، والعالم الإسلامي أكثر مجموعة دولية في العالم مديونية ، وذلك للضغط الكبير الذي يمارس على هذه الدول لاستيراد ما لا حاجة لها به حتى السلاح الذي يخزن عندنا حتى يموت ، وهذه المديونية هي أكبر وأخطر المصائب التي حلت بعالم المسلمين . وهي السكين المسلطة على رقاب المسلمين في كل مكان . ثم إن هذه المديونية لم تفكر دولة من الدول الإسلامية بطرق السداد ؛ خاصة وأن قضية الفائدة المركبة الربا الفاحش يدخل ليضاعف الديون إلى أضعاف كثيرة . وترى أن الأرقام التي ترد عن هذا الأمر تعتبر من أشنع ما حل بالعالم الإسلامي من مصائب .

ونشير إلى بعض الدخول للأفراد في بعض دول العالم الإسلامي ونقارنه ببعض دخول الدول الأدنى من العالم الغربي في العالم :

الرقم	اسم الدولة	الانتماء	المساحة كيلومتر مربع	السكان	الكثافة السكانية	دخل الفرد ٢٠٠٠م	ملاحظات
١	أفغانستان	أواسط آسيا	٦٥٢,٢٢٥	٢٤,٢٠٠,٠٠٠	٣٧/كم٢	٨٠٠ دولار	
٢	السعودية	العالم العربي	٢,٢٤٠,٠٠٠	١٩,٤٠٠,٠٠٠	٩/ كم٢	١٠,٠٠٠ "	
٣	البحرين	العالم العربي	٧٠٧ كم٢	٠,٥٩٩,٠٠٠	٨٤٧كم٢	١٠,٠٠٠"	
٤	الجزائر	العالم العربي	٢,٣٨١,٠٠٠	٢٨,٧٠٠,٠٠٠	١٢ كم٢	١,٥٢٠ "	
٥	الكويت	العالم العربي	٠,٠١٧,٨١٨	١,٦٠٠,٠٠٠	٨٩ كم٢	١٢,٠٠٠ "	
٦	المغرب	العالم العربي	٠,٤٥٨,٧٣٠	٢٧,١٠٠,٠٠٠	٥٩ كم٢	١,٢٩٠ "	
٧	مصر	العالم العربي	١,٠٠٢,٠٠٠	٥٩,٢٠٠,٠٠٠	٥٩ كم٢	١,٠٨٠ "	
٨	اليمن	العالم العربي	٠,٥٣٦,٨٦٩	١٥,٦٠٠,٠٠٠	٢٩ كم٢	٠,٣٨٠ "	
٩	السودان	العالم العربي	٢,٥٠٥,٨١٣	٢٧,٣٠٠,٠٠	١٠ كم٢	٠,٨٠٠ "	
١٠	أذربيجان	أواسط آسيا	٠,٠٨٦,٦٠٠	٧,٥٠٠,٠٠٠	٨٨ كم٢	٠,٤٨٠ "	
١١	بنغلادش	قارة الهند	٠,١٤٧,٠٠٠	١٢١,٦٠٠,٠٠	٨٢٥كم٢	٢٦٠ دولار	
١٢	البوسنة	أوربا	٠,٠٥١,١٢٩	٤,٥٠٠,٠٠	٨٨ كم٢	٨٠٠ دولار	
١٣	بوركينا فاسو	أفريقيا	٠,٢٧٤,٢٠٠	١٠,٦٠٠,٠٠٠	٣٩ كم٢	٠,٢٣٠ "	
١٤	جزر القمر	أفريقيا	٠,٠٠١,٨٦٢	٠,٥٠٥,٠٠٠	٢٧١كم٢	٠,٤٥٠ "	
١٥	جيبوتي	العالم العربي	٠,٠٢٣,٠٠٠	٠,٦١٩,٠٠٠	٢٧ كم٢	٣,٠٠٠ "	
١٦	غامبيا	أفريقيا	٠,٠١١,٢٩٥	١,١٠٠,٠٠٠	١٠٢كم٢	٠,٨٠٠ "	
١٧	غويانا	أفريقيا	٠,٢٥٤,٨٥٧	٦,٧٠٠,٠٠٠	٢٨ كم٢	٠,٥٦٠ "	
١٨	إندونيسيا	ج.ش آسيا	١,٩٠٤,٤٤٣	١٩٧,٠٠٠,٠٠	١٠٤كم٢	١,٠٨٠ "	
١٩	العراق	العالم العربي	٠,٤٣٨,٣١٧	٢١,٣٠٠,٠٠	٤٩ كم٢	٣,٠٠٠ "	
٢٠	إيران	بلاد فارس	١,٦٤٨,٠٠٠	٦٢,٥٠٠,٠٠	٣٨ كم٢	٣,٠٠٠ "	
٢١	أثيوبيا	أفريقيا	١,١٣٣,٣٨	٥٨,٢٠٠,٠٠	٥٦ كم٢	٠,٠١٠٠ "	٤٥% مسلمون
٢٢	طاجاكستان	أواسط آسيا	٠,١٤٣,١٠٠	٥,٩٠٠,٠٠	٤١ كم٢	٠,٣٤٠ "	
٢٣	كازاخستان	أواسط آسيا	٢,٧١٧,٢٠٠	١٦,٤٠٠,٤٠٠	٦ كم٢	١٣٥٠ "	
٢٤	نرغيستان	أواسط آسيا	٠,١٩٨,٥٠٠	٤,٦٠٠,٠٠٠	٢٣ كم٢	٠,٥٥٠ "	

٢٥	ليبيا	العالم العربي	١,٧٧٥,٥٠٠	٥,٢٠٠,٠٠٠	٣ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠	٦٠%
٢٦	لبنان	العالم العربي	١٠,٤٥٢,٠٠٠	٤,١٠٠,٠٠٠	٣٩٠%	٢,٩٧٠,٠٠	مسلمون
٢٧	غينيا	أفريقيا	٠,٢٥٤,٨٥٧	٦,٧٠٠,٠٠٠	٢٨ كم٢	٥٦٠,٠٠	
٢٨	ماليزيا	شرق آسيا	٣٢٩,٧٥٨,٠٠	٢٠,٢٥٠,٠٠٠	٦٢ كم٢	٤,٣٧٠,٠٠	
٢٩	مالديف	محيط هندي	٠٠٠,٢٨٩	٢٥٦,٠٠٠	٨٥٩كم٢	٠,١٠٨,٠٠	
٣٠	مالي	أفريقيا	١,٢٤٠,١٩٢	٩,٩٠٠,٠٠٠	٨ كم٢	٠,٢٤٠,٠٠	
٣١	موريتانيا	أفريقيا	١,٠٣٠,٧٠٠	٢,٣٠٠,٠٠٠	٢ كم٢	٠,٤٧٠,٠٠	
٣٢	النيجر	أفريقيا	١,٢٦٧,٠٠٠	٩,٣٠٠,٠٠٠	٧ كم٢	٠,٢٠٠,٠٠	
٣٣	نيجيريا	أفريقيا	٩٢٣,٧٦٨	١١٤,٦٠٠,٠٠	١٢٤كم٢	٠,٢٤٠,٠٠	
٣٤	باكستان	قارة الهند	٧٩٦,٠٩٥	١٣٣,٧٠٠,٠٠	١٦٨كم٢	٠,٤٨٠,٠٠	
٣٥	قطر	العالم العربي	١١,٤٢٧	٠,٦٦٠,٠٠٠	٥٨ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠	
٣٦	عُمان	العالم العربي	٣٠٩,٥٠٠	٢,٢٢٠,٠٠٠	٧ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠	
٣٧	السنغال	أفريقيا	١٩٦,٧٢٢	٨,٥٠٠,٠٠	٤٣ كم٢	٠,٥٧٠,٠٠	
٣٨	ألبانيا	أوربا	٢٨,٧٤٨	٣,٢٠٠,٠٠٠	١١٤كم٢	٠,٨٢٠,٠٠	
٣٩	سيراليون	أفريقيا	٧١,٧٤٠	٤,٦٠٠,٠٠٠	٦٥ كم٢	٠,٢٠٠,٠٠	
٤٠	الصومال	أفريقيا	٦٣٧,٦٥٧	٩,٨٠٠,٠٠٠	١٥ كم٢	٠,٨٠٠,٠٠	
٤١	سوريا	العالم العربي	١٨٥,١٨٠	١٤,٨٠٠,٠٠	٧٨ كم٢	١,١٦٠,٠٠	
٤٢	تشاد	أفريقيا	١,٢٨٤,٠٠٠	٦,٦٠٠,٠٠٠	٥ كم٢	٠,١٦٠,٠٠	
٤٣	تونس	العالم العربي	٠,١٦٣,٦١٠	٩,١٠٠,٠٠٠	٥٦ كم٢	١,٩٣٠,٠٠	
٤٤	تركيا	الترك	٧٩٧,٤٥٢	٦٢,٦٠٠,٠٠٠	٨٠ كم٢	٢,٨٣٠,٠٠	
٤٥	تركمانستان	الترك	٤٨٨,١٠٠	٤,٥٠٠,٠٠٠	٩ كم٢	٠,٩٤٠,٠٠	
٤٦	الإمارات	العالم العربي	٧٧,٧٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	٣٣ كم٢	١٢,٠٠٠,٠٠	
٤٧	أوزباكستان	وسط آسيا	٤٤٧,٤٠٠	٢٣,٢٠٠,٠٠	٥٢ كم٢	١,٠١٠,٠٠	
٤٨	بروناي	ج.ش. آسيا	٥,٧٦٥	٢٩٠,٠٠٠	٥٠ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠	

إن هـــذه نماذج لبعض الدول الإسلامية الغنية منها والتي يزيـــد دخل الفرد فيها بأكثر من ١٠,٠٠٠,٠٠ دولار سنوياً ولعلها جميعاً من دول البترول ، ثم الدول المتوسطة والتي يتراوح دخل الفرد فيها بين ٥,٠٠٠ ــ ١٠,٠٠٠ دولار ، وهي دول قليلة جداً ، ثم الـــدول الفقـــيرة الـــتي

obeikandl.com

ذكرناهـــا . ثم الأكثر فقراً بين ١,٠٠٠ ــ ٥,٠٠ دولار ، وهي أكثر الدول الإسلامية من هذه النماذج التي ذكرناها . ثم الفقيرة جداً بين ١٠٠ ــ ٥٠٠ دولار وهي الأكثرية الساحقة من دول العالم الإسلامي والأكثـــر سكـــاناً في منظومة الدول الإسلامية . وندرج فيما يلي نماذج لـــدول غنية وليس فيها بترول أو أي دخل (بعض الصناعة أو الزراعة) لنقارن بينها وبين دول العـــالم الإسلامي .

الرقم	اسم الدولة	الانتماء	المساحة كيلومتر مربع	السكان	الكثافة السكانية	دخل الفرد ٢٠٠٠م	ملاحظات
١	الأرجنتين	أمريكا الجنوبية	٢,٧٨٠,٤٠٠	٣٥,٢٠٠,٠٠	١٣/كم٢	٨,٣٨٠,٠٠	
٢	أيزلاند	استراليا	٧,٦٨٢,٣٠٠	١٨,٣٠٠,٠٠	٢ /كم٢	٢٠,٠٩٠,٠٠	
٣	كندا	أمريكا الشمالية	٩,٩٥٨,٣١٩	٣٠,٠٠٠,٠٠	٣ / كم٢	١٩,٠٢٠,٠٠	
٤	قبرص	البحر المتوسط	٩,٢٥١	٧٤٠,٠٠٠	٨٠/كم٢	٩,٠٠٠,٠٠	
٥	الدنمارك	أوربا	٤٣,١٩٤	٥,٣٠٠,٠٠	١٢٢كم٢	٣٢,١٠٠,٠٠	
٦	أسبانيا	أوربا	٥٠٤,٧٨٢	٣٩,٣٠٠,٠٠	٧٨/كم٢	١٤,٣٥٠,٠٠	
٧	فنلندا	أوربا	٣٣٨,١٤٨	٥,١٠٠,٠٠	١٥,٢كم٢	٢٣,٢٤٠,٠٠	
٨	فرنسا	أوربا	٥٤٣,٩٦٥	٥٨,٣٠٠,٠٠	١٠٧/كم٢	٢٦,٢٧٠	
٩	إيطاليا	أوربا	٣٠١,٣٢٣	٥٧,٤٠٠,٠٠	١٩٠/كم٢	١٩,٨٨٠	
١٠	لوكسمبورج	أوربا	٢,٥٨٦	٤١٦,٠٠٠	١٦١/كم٢	٤٥,٣٦٠	
١١	نيوزيلندا	استراليا	٢٧٠,٥٣٤	١,٦٠٠,٠٠	١١/كم٢	١٥,٧٢٠	

إضافة إلى أن دخل الفرد في كل من اليابـــان ٤٠,٩٤٠ دولار ، اســـتراليا ٢٨,١١٠ دولار سويسرا ٤٤,٣٥٠ ، تايوان ١٢,٨١٨ بريطانيا ١٩,٦٠٠، الولايـــات المتحدة ٢٨,٠٢٠ وغير ذلك من الدول الغنية ، وبمقارنة بسيطة : دخل الفرد السويسري = ٢٧٨ دخل الفرد في تشـــاد ويساوي ٤ دخل الفرد في كل من السعودية والكويت وبروناي والإمارات وهي أغنى دول العالم الإسلامي ، هذه المقارنة للدلالة على الحالة الاقتصادية للمسلمين في الوقت الحاضر . وليس القصد منها الربط مع القوة والسيادة والسيطرة فدول لا تُرى على الخارطة تتمتـــع بـــالغنى الفـــاحش والـــولايات المتحدة أقل كثيراً من أكثر من عدد كبير من الدول الأخرى المنتعشـــة اقتصـــادياً ،

اليابان ٤٠٩٤٠ والولايات المتحدة ٢٨٠٢٠ واليابان متروعة السلاح، سويسرا ٤٤٣٥٠ وهكذا [١] .

الموارد الاقتصادية :

حبا الله تعالى العالم الإسلامي بكل ميزات الطبيعة ، وعلى الرغم من أن الصحراء تتجاوز نصف العالم الإسلامي - ناهيك عن الأراضي الجرداء والجبال والأودية - لكن المسلم تفاعل مع الطبيعة وكثيراً ما روضها وهزمها وإذا هزمته فإنه يصبر عليها . استهلاك الفرد الإسرائيلي من الماء يعادل ٤٠ مرة مقارنة بالفرد الفلسطيني في ذات البقعة عدا سكان الصحاري الذين يعيشون على قطرات من الماء هم ودوابهم وكل حياتهم . في الوقت الذي تصب به الأنهار العظمى لتزود البحار بالماء اللازم .

ومع تنوع المناخات ، وتنوع الموقع الجغرافي ، وتنوع الطاقات الطبيعية وكذلك تنوع البشر الذين يتعاملون مع الطبيعة بالصبر والقهر والاستفادة ؛ فإن الموارد الاقتصادية لا تغطي كثيراً من احتياجات المسلمين فيضطرون للاستيراد وبالدين وليس نقداً ، حتى أن بعض السلع "الاستراتيجية " كالقمح يعتبر السلاح الأوفى فتكاً على جميع الدول الإسلامية ، وهم إما يأكلون أو يموتون .

إن الله تعالى رزق المسلمين رزقاً يقيم أودهم ويزيد عن حاجتهم ، وبجعلهم من أغنى الناس ، والمسلم ليس بحاجة كغيره إلى مغريات الدنيا فهو قادر بحال من الأحوال على أن يحارب كل أغنياء العالم بما لديه ـ وهو ليس بحاجة له ـ فقد اختصر الرسول ﷺ الحياة بقوله : " من بات عنده قوت يومه ومعافى في بدنه وآمناً في سربه فقد حيزت له الدنيا وما فيها " .

رزق يوم وصحة جيدة وأمن على النفس في الأهل هذه تكفي الإنسان لأن تسلس له الدنيا قيادها " كيف ونحن نرفل بالنعيم وبيننا الذين يموتون من الجوع ، صحتنا جيدة وتكلفنا الكثير ، فربما المستشفيات وعالم الطب من الأماكن الكثيرة في بلادنا ، وبيننا الذين تفتك بهم الأمراض ويموتون بأعداد غير طبيعية ، ثم إننا نحن من دون العالم نتكاثر والعالم ينحسر ، والإحصائيات جعلت العالم يتوجه إلينا لنوقف تكاثرنا . والإنسان في الدنيا هو الفاعل القادر على سياستها والقادر على قيادها والتحكم فيها .. أما الشعبة الثالثة لتكون الدنيا في حيازة الإنسان فهو الأمن وهذا الذي افتقدناه على طول العالم الإسلامي وعرضه وكذلك ربما جميع الجاليات الإسلامية في

---

(١) انظر – Atlas universal . Alemonia 1999 " – The Encyclopedia of word Geography – BARNES NOBLE BOOKS NEW YORK 1997 – New Country World Atlas .

العالم التي تأتي بالدرجات من الثانية إلى ... حيث لا يعترف بها . فقدان الأمن في الوطن الإسلامي، فرق الجماعة ، وخلق العداوة وأخاف الناس وأرعبهم ، وشتت شملهم ، حولهم إلى لاجئين في كل أنحاء الدنيا حيث وصل المسلمون إلى مجاهل الجزر المتناثرة في المحيطات ، والبلدان المعلقة بين السماء والأرض .

إن فقدان الأمن هو السمة الغالبة على حياة الناس عموماً ، وبهذا فإن آثارها السيئة أكثر من أن توصف . ولذا فإن أرزاق الغير متوازنة وغالبية الفروق بين الغنى والفقر جاءت من طرق غير مشروعة إطلاقاً .. من الربا ، الكذب ، حلفان الإيمان (القسم الكذب) ، السطو ، الابتزاز ، السرقة ، التلاعب ، الغش ، وعن كل الطرق المحرمة في الإسلام على الخصوص الذي فرض الحلال ، والصدقات والزكاة،والتبرعات والأوقاف والهبات والتعاون، فأذهب الله تعالى البركة التي تنمي الخير وتزيده وتزكيه، فكثر منع الخير وكثرة السؤال . في تفارق متباعد .. ولم تسن أية قوانين لوقف التباعد قبل أن نفكر قليلاً في العودة إلى التقارب . قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا (٢٨) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا(٣٧)كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)** ﴾[الإسراء] .

إن التزام المسلم بإسلامه شرط لازم لنيل رحمة ربه ، وإن ترك المسلم لدينه فإن الله تعالى يذله في الدنيا والآخرة – وربما لا سمح الله نحن في مثل هذا الحال إلا من رحم ربك وليسوا هم بالقليل – لأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ويدافع عن المتقين ، ويجزي الصادقين بصدقهم

ويجزيهم على ما عملوا الخير الكثير ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا(٣١)حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا(٣٢)وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا(٣٣)وَكَأْسًا دِهَاقًا(٣٤)لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا(٣٥)جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا(٣٦)رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا(٣٧)يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا(٣٨)ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا(٣٩)﴾ [النبأ] .

العلة في تخلف المسلمين اليوم هي الصورة الواضحة التي ذكر بعضاً منها ، أما الصور الأخرى فهي كثيرة وكثيرة جداً .. وعلينا أن ندرك أن البلاء يعم ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾[الأنفال] ولكن لطف الله ورأفته بعباده قادرة على أن تخرجنا مما نحن فيه بقضية واحدة هي التوجه إلى الله ، وإسلاسة قيادنا والإسلام والتسليم له . وهذه الفكرة المكررة تحول بيننا وبين الفوز في كثير من الأحيان ، إذاً ما هو السبيل لعودة المسلمين إلى دينهم ، والناظر يرى أن بين ذلك قروناً .. إذاً فنحن في نظرة إلى واقع مثالي قد لا يتحقق في القريب العاجل على الأقل ، وننتظر حتى يعود المسلمون إلى دينهم ليمكنهم الله تعالى في الأرض ! إن هذا ليس من المدرك في حياة البشر ، والذين لا يعون التاريخ وحياة الأمم يظنون المحال في ذلك ولكن ليرى الناس أننا ندرج على أرض ما دامت لمن قبلنا ، وسيدرج عليها من سيأتي بعدنا ، مع اختلاف الأمم البائدة والسائدة . وما كان مستحيلاً في نظر الأقدمين أصبح حقيقة في الوقت الحاضر ، وما يمكن أن يرى أنه في حكم المستحيل مستقبلاً فإنه سيكون له الوجود والمحقق لاحقاً . هذه سنن طلب منا الله أن نتفكر بها حتى لا ندخل في متاهات اليأس والقنوط ، وندرج تالياً صورتين لهذه السنن وهي كثيرة جداً في كتاب الله وفي سنة المصطفى ﷺ .. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا (٧٢) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا (٧٣) وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنْ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا (٧٧)﴾ [الإسراء] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلا غُرُورًا (٤٠) إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) ﴾ [فاطر] .

هذا مثال واضح لتدبر قدرة الله تعالى في استخلاص الأمم بعضها ببعض ، ولفتة واضحة جلية يجب ألا يفوتنا النظر إليها رغم عظمتها ورغم ما في ترتيبها من تسلية وإيناس لأولى الألباب ، حتى يعلم الجميع أن ما يبذله الدعاة إلى الله تعالى وحمل رسالة الإسلام في زمان كثر فيه الكفر والحرام والبعد عن منهج الله تعالى ، وليعلم المثبطون والذين يدعون من دون الله آلهة أخرى ، أن حبل الله تعالى هو الأوثق والأقوم والأدوم فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾[آل عمران] .

فالأمر كله هو عدم فهم القضايا التالية :

١- إن الرزق والمورد الغني ليس هو عماد النصر والارتفاع والحكم والسلطان .

٢- إن القناعة في كثير من الأحيان هي مبدأ قادر على سد احتياجات الأمة وإزالة الفوارق المعيشية بين الناس .

٣- حتى في العصر الحاضر فإن الجندي أقل الناس تناولاً للطعام وأقلهم استقراراً وهو الوحيد الذي لا يسعى إلى كسب الرزق بل يكتفي بما يقدم إليه ولو كان أقل القليل . في عصرنا وفي مختلف العصور الماضية .

٤- توزيع الموارد بالعدل هو الطريق الأسلم للفرد والرأفة والمحبة واستغلال أوقات الناس والاستفادة من طاقاتهم .

٥- سد أبواب الحرام التي تؤدي في العاجل أو الآجل إلى تدمير الأمم وإبادتها : السرقة ، الربا ، الابتزاز ، القمار ، الاحتيال ، السيطرة ، أكل الأموال بغير حق " مال اليتيم والقاصر ، والمعتوه ، والمسكين " والاستغلال . وقد تكفل نظام الإسلام بالبدائل الأوفى والأحسن والأجود .

٦- إتباع أوامر الله تعالى بالتعامل مع المال : التجارة ، الزكاة ، الصدقات ، الهبات ، الأوقاف ، التأمين المشروع ، القروض الحسنة ، المساعدات ، كل هذه الطرق كفيلة بخلق العدالة أو القرب منها كثيراً .

٧- الاستفادة من الموارد الطبيعية .. مياه ، معادن ، زراعات ، أمطار ، بترول ، طبيعة ، وأي مورد آخر ، وتطوير استخدام هذه الموارد في تقنية متطورة غير خاضعة للقوى العظمى ، أو القوى المهيمنة على طاقات التجزئة ، وإزالة الحواجز والموانع لنقل هذه الموارد من وإلى العالم الإسلامي أولاً ومن ثم لخدمة الإنسانية عموماً .

والأمر ليس غريباً ولا هو بالجديد ، ولا هو بالمستغرب فإن آيات القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ وسنة الأولين من السلف الصالح كل هذا قد طبق ويطبق وتتوخى العدالة ما كانت النموذج الأمثل في حياة البشرية قاطبة .

ليس المقصود هنا تعداد الأرقام الكثيرة والقليلة لهذه الموارد في تمكين أن توضح أن ما عندنا أكثر من حاجتنا قطعاً ؛ ورزق الله قد عم وفاض علينا ، ولكنا نحن الذين تجاوزنا هذه النعم إلى النقم التي تسود الأمة وتجعلها في مؤخرة الأمم من حيث الرقي والغنى والاكتفاء في هذه الحياة .

إن من أسوأ التعاملات في العالم الإسلامي أمران :

الأول : عدم سيطرة المسلمين على مواردهم ، وإعطاء الأحطر منها إلى الأعداء لتحريك آلة تدميرنا وحربنا وإذلالنا ، وعدم استفادتنا إلاّ بالحد الأدنى جداً الذي لا يصل إلى التأثير الاستراتيجي على مقدرات الأمة وما ملكت ، وكذلك عدم الاستغلال الأمثل لهذه الموارد حتى أنها

تحولت كلها وباءً على المسلمين وليس غذاءً ودواءً لهم ؛ إذ حُوربوا بالأولى وأُفقِدوا الثانية فكان الذل حليفهم والقهر ديدنهم والانهزام صفتهم في كل معركة .

الثاني : تسليم الأموال وبكل بساطة إلى أعداء الأمة من اليهود أولاً والنصارى ثانياً ، وملكنا أرقاماً فلكية ليس لنا منها إلا الاسم ، وهم يستخدمون الأموال لتطوير آلات حربهم ودعم قوتهم ، وتثبيت أركانهم ، وفي كل حين نعطي رقماً ناقصاً أو زائداً أو وهمياً ليس إلاّ وتسد أفواهنا بالمنتجات المختلفة من عربي أو أعجمي طالما أن الأمر والتصرف منوط بأعداء الأمة ، والعقول التي تحيك لنا كل المؤامرات تستغل منا كل القدرات والأموال ، إلى درجة بلغت حد الضحك على الحكام والمحكومين ، وحتى الأدنى مما بين أيدينا من المال قد أفقدوه قيمته فلم يعد لعملاتنا أية قيمة إلاّ ما ارتبط بهم ! خوفاً من التدهور المخيف في مجال المال والصناعة ، والزراعة والإنتاج الحيواني أو الخاص ، كل هذا أضحى في أيدي الآخرين يرفعونه أو يخفضونه في الوقت الذي يريدون ، ونقبل بعد ترويضنا نحن المسلمين على أيدي حكامنا ومساعديهم وحكومات المخابرات والتجسس والتصنت والقهر المطلق .

وتحكم الربا في كل المعاملات المالية ، وأحمل القارئ العزيز على تقارير الخبراء العالميين في مجال المال ؛ أي مسلك حرام نحن نسلكه في تعاملنا ومعاشنا ، ويقبع أباطرة المال فوق هرم الحاكمية في أدنى المال وأعلاه . وهذه حال دول الإسلام كلها من مشرقها إلى مغربها ، أعطت مفتاح قوتها لأعدائها القادرين على فتح أبواب البلاء عليها في الوقت المناسب لمنعها من أي تقدم أو فلاح ، وربطت الدول بديون خيالية تتنامى مع فوائدها في كل حين ونلهث وراء الدول الدائنة لجدولة ديونها ولتخفيف العبء القاتل علينا ، والثمن إن حصل المهانة والمذلة ، والبعد عن العودة إلى الإسلام .

طلبت الولايات المتحدة من الدول الإسلامية إيقاف تدريس مادة التربية الإسلامية "المتواضعة جداً " في المدارس ، وتدرس الدول الإسلامية باحترام هذا الطلب ؛ لأنه فرض عليها من شعوبها وبالحد المتدني جداً ، بحيث يتخرج الملايين من أبنائنا في العالم الإسلامي وليس لديهم أية فكرة واضحة عن حياة نبي أو صحابي أو رمز من رموز الإسلام في مجال السياسة والقيادة والفكر والعلم والتقدم والزهد ، وما يعطي يكرر دائماً على أسماء معينة يظن الدارس أننا لا نملك سواها ، فإن فقد عزتها من رأسه فقد تخلى نهائياً عن كل تقدير !!

نحن الآن في دور الخطأ المعاشي .. ولكننا نعيش وبأحسن حال والحمد لله . لكن غاب عنا تماماً أن الخطأ الذي نرتكبه يؤدي بنا إلى التهلكة في الدنيا والآخرة – كثيرون منا والحمد لله تعالى

يتحرون الحلال ولا يعيشون إلاّ على الحلال ، ويبتعدون عن الحرام وحتى عن أهله .. وكثيرون قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً دون علم ولا معرفة ولا تكليف أنفسهم عناء البحث والتقصي عن الحلال المطلق ، والابتعاد عن الحرام المطلق . والقسم الثالث لا يعنيه موضوع الحلال والحرام بأي شكل من الأشكال .. المهم أن يعيش وبالمستوى المعاشي الذي يريد وحتى بالحد الأدنى من هذا المعاش . هذا الخلط العجيب الغير متجانس يتعامل كله مع بعضه البعض ، فليس هناك إطلاقاً حدود بين هذا وذاك ، فأب يرتكب الحرام ، وأم تتحرى الحلال ، وأولاد بين الأم والأب حائرون؛ أو أنهم على الأقل القليل يعيشون . وهذا الخلط هو المرض العضال فليس هناك رقابة شرعية ، ولا مرجعية دينية ، ولا سلطة حكومية ، ولا قوة سياسية تمنع هذا الخلط ، وتظهر للناس ما هو حلال وما هو حرام . وبذلك فإن الوقوع في الآثام أمر متوقع في كل خطوة .

إن فقدان المرجعية عموماً أبشع أنواع الأمراض ، فكل المرجعيات طرحت من عن كاهلها قضية التحكم أو التحكيم إلى شرع الله . والذين يمكن أن يظهروا للناس دربهم منعوا بكل الأساليب الإنسانية والوحشية على السواء ، وهجروا ودفنوا وكممت أفواههم ، حتى منعوا من أبسط حقوق الإنسان بل الحيوان ليمارسوها في حياتهم . وليس الشعب عنده المقدرة أن يكون عالماً كله ليبحث عن الحلال والحرام في المراجع .. عدا العلماء الذين لم يتمكنوا في هذه اللحظة من الاتفاق على أمر صارخ من الأمور الحياتية والمعاشية ، والعلم عند الله تعالى أن البحث عن المرجعية السياسية والدينية من أول الأولويات المفقودة لدى المسلمين اليوم ، وإعادتها بالمنظور ضرب من المستحيل ، حيث إن التعقيدات التي أحيط بها درب السياسة في عالم المسلمين يوقع كل مصلح في هوة يقضي حياته بها ، وليس من قافلة تنقذه حتى ولا تشتريه بدراهم معدودات ليخطو خطوات يوسف عليه السلام لإنقاذ الأمة . إذ أنه انتهى بالسجن إن قدر له أن يباع بدراهم معدودات ، ويموت هناك ، ولا يعرف أين مقره التالي ؛ إن لم يكن مقره الأول قد عاجله بالعقوبة .

إن سوء التخطيط كما يحب المحدثون تسميته ، والارتجال الصارخ في الأفعال والأقوال وردود الفعل القاسية ، والجهل المطبق ، وعدم وجود الغيرة على الدين ، وسيادة رأي المناهضين للإسلام ، وتحكم أعداء الأمة من الخارج والداخل بمقدراتها ، والسير في كل الطرق التي لا تؤدي إلى صلاح الأمة ، كل هذه وأكثر منها هي التي تحكي وتعمل في تدمير أمة الإسلام وحملة هم الأمة ، ومن يمكن أن يقدم خيراً للإسلام في صراع عالمي جعل الإسلام هو العدو الأول ، والمتحدي الوحيد للعولمة الحديثة ، وإن كان هناك شريك آخر يتحدى العولمة مثل الصين فإن العولمة تبحث بجد

وبأناة لاستقطاب هذا الخصم لأنه لا يملك بأية حال ما يملكه الإسلام من إمكانات التحدي لخطوات الشيطان المتنوعة والمختلفة الأسماء ومنها أخيراً مصطلح العولمة أو حكم العالم بقطب واحد ؛ فالإسلام ما زال الخصم الأقوى لكل المسميات التي درجت على ألسن الناس وأدبياتهم خلال القرنين الماضيين ، وما يمكن أن يطلق من تعبيرات ومصطلحات خلال القرن الحالي أيضاً .

obeikandl.com